محاضرة الأدب الاسلامي

من كتاب الأمالي في الأدب الاسلامي للدكتورة
ابتسام مرهون الصفار

(الرسائل)

قسم اللغة العربية / المرحلة الثانية
كلية التربية القائم / جامعة الأنبار

ب - الرسائل

اصبح من البديهي لدى الباحثين القول باهتمام الاسلام بصورة عامة والرسول بصورة خاصة بالكتابة ، واثر هذا الاهتمام في نشر الكتابة والتشجيع على تعليمها ، والحادثة المشهورة التي اشترط فيها الرسول (ﷺ) على اسرى بدر اطلاق سراح كل رجل يعرف الكتابة والقراءة ان يعلم عشرة من صبيان المدينة دون فداء ، هذه الحادثة تكفي للاشارة الى مدى اهتمام الرسول (ﷺ) بالكتابة ونشرها بين المسلمين .

وكان لحاجة الرسول (ﷺ) الى تدوين القرآن الكريم وحفظه من جهة ، ونظره البعيد الى حاجة دولته اليها من جهة اخرى . كل هذا جعل الرسول (ﷺ) يهتم بالكتابة لانها ستكون الاساس الذي تعتمد عليه دولته في مراسلاته ومباحثاته مع القبائل العربية ، والدول المجاورة التي بعث اليها وفوده يدعوهم الى الاسلام .

لقد كان لنشوء الدولة الاسلامية الاثر الكبير في تطوير الكتابة واستخدامها على نطاق رسمي ، والاستفادة منها في خدمة الدعوة الاسلامية بعد ان كانت محصورة في مجالات محددة وفي مناطق معينة في عصر ماقبل الاسلام وقد ذهب بعض الباحثين الى ان الكتابة قد استخدمت قبل هجرة الرسول (ﷺ) الى المدينة وقبل نشوء الدولة الاسلامية .

يقول الدكتور حسين محمد نصار(٦٩٤) وأحب ان اقول اني لااعني بذلك ان الرسائل والمعاهدات لم تظهر الا بعد تكون الدولة بل ظهرت اثناء تكونها وقبل تكونها ايضا حتى انهم يروون لنا ان الرسول (ﷺ) اتخذ شرحبيل بن حسنة كاتبا في مكة ، بل قالوا ان الداريين اتوا للرسول (ﷺ) وهو بمكة وطلبوا منه ان يقطعهم ارضا بالشام ان فتحها الله عليه ، فاقطعهم بيت عينون وحيرون والموطوم ، وبيت ابراهيم وكتب لهم بذلك كتابا في خط شرحبيل ولكننا نشك شكا قويا في صحة هذه الرواية ولانصدق الا الاقطاع الثاني الذي تم في السنة التاسعة بعد الهجرة وكتبه الامام علي بن ابي طالب بأمر الرسول (ﷺ) واحتفظ به الداريون وقتا طويلا ، اذ لم تكن الجماعة الاسلامية في مكة دولة من الدول لها كيان سياسي او نظام اداري ، ولم يكن الرسول (ﷺ) قد بدأ يفكر في جهاد الامم المجاورة للعرب حتى يقطع ارضا بها . وحتى في حالة عدم التصديق بصحة الاقطاع الاول فان الرواية نفسها تفيدنا بذكر اسم شرحبيل كاتبا للرسول (ﷺ) في مكة ونجد صدق ذلك في مجموعة الوثائق السياسية التي نشرها الدكتور حميد الله اذ

---

(٦٩٤) نشأة الكتابة الفنية : ٣٠

نجد فيها كتابا بعثه الانصار الى الرسول (ﷺ) حين انصرف اهل العقبة الاولى ، ونشا الاسلام في دور الانصار كتبوا فيه للرسول (ﷺ) : ان ابعث الينا رجلا يفقهنا في الدين ويقرئنا القرآن (٦٩٥) . كما ان هناك وثيقة اخرى كتبها الرسول (ﷺ) قبل هجرته ايضا وارسلها الى مصعب بن عمر لاقامة الجمعة في المدينة . هاتان الاشارتان وان افادتا في معرفة بدء الرسول (ﷺ) بالاستفادة من الكتابة فانها لاتعني ايضا انها قد استخدمت على نطاق واسع ، لان الحاجة اليها كانت محدودة نظرا لقلة الجماعة الاسلامية وقلة متطلباتها ولكن العامل الاكبر في اظهار الكتابة وبثها في الارجاء هو بزوغ الدولة العربية الاسلامية . فما لايخفى على احد ماتستلزمه الدول من علاقات . وروابط داخلية وخارجية لايمكن التعبير عنها والاتفاق عليها الا بالمراسلات.. وهكذا كان انشاء نظام المراسلات الداخلية والخارجية (٦٩٦) .

وحين هاجر الرسول (ﷺ) الى المدينة ، وهاجر معه اصحابه كان لابد له ان ينظم الحياة الجديدة في المدينة لتكون نواة دولة اسلامية كبيرة ، واراد ان يوطد النظام الذي يفرضه في المدينة ، وان يلزم كافة الاطراف به فكتب كتابا ضمنه تعاليمه فيما يخص العلاقة بين المهاجرين والانصار من جهة واليهود من جهة اخرى والزم في هذا الكتاب كل طرف بما له وماعليه من واجبات وحقوق وهكذا اتخذت الكتابة طابعا جديدا حين اصبحت اداة لتسجيل النظام الذي يسود مجتمع الدولة الجديدة (٦٩٧) .

وحين هاجر الرسول (ﷺ) بدأت قريش بمناوراتها السياسية فكان لابد للرسول (ﷺ) ان يتتبع اخبارها ويطلع على ماتعده من عدد لحرب المسلمين فكان ان بدأ بارسال السرايا التي تستطلع له اخبار قريش وتحركاتها وفي اخبار هذه السرايا انه (ﷺ) ارسل عبدالله بن جحش ونفرا من اصحابه ، وبعث معه كتابا وامره الاينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي الى ماامره ولايستكره احدا من اصحابه (٦٩٨) .

---

(٦٩٥) الوثائق السياسية : ١٠ ، وقد خرج الاستاذ حميدالله الرسائل التي ذكرها فليراجعها من يريد ان يتأكد من ورودها من مظان الكتب القديمة .

(٦٩٦) نشأة الكتابة ٣٢ .

(٦٩٧) مجموعة الوثائق السياسية ٢٠ .

(٦٩٨) السيرة ق١ / ٦٠١ الوثائق السياسية ٢٢ .

وفي اخبار غزوة الخندق ان المسلمين قبل ان يخوضوا غمارها بلغهم كتاب من ابي سفيان الى النبي (ﷺ) يفاوضه فيه قبل ان تبدأ الحرب ، ويعده بالقتال ان لم يستجب الى ماتريده قريش منه . وقد اجاب الرسول (ﷺ) بكتاب رد فيه على ابي سفيان . ثم كانت مكاتبة اخرى بين ابي سفيان والرسول وقت غزوة الخندق حين ملت قريش المقام فكتب ابو سفيان يهدد الرسول (ﷺ) بيوم مثل يوم احد ، ويجيبه الرسول بكتاب آخر يهدده بيوم تكسر فيه اللات والعزى واساف ونائلة (٦٩٩).

وفي السنة السادسة للهجرة كتب صلح الحديبية المشهور بين قريش والرسول (ﷺ) وقد اتفق فيه الفريقان على الصلح مدة عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، كما نظمت فيه شروط اخرى يلتزم بها كل من المسلمين من جهة وقريش ومن حالفهم من جهة اخرى (٧٠٠).

وبعد هذا الصلح اشتدت شوكة المسلمين ، وقويت دعائم دعوتهم مما بعث القوة والعزيمة في نفوسهم ففر رجل منهم اسمه ابو بصير من مكة ، والتحق برسول الله (ﷺ) فكتبت قريش الى الرسول (ﷺ) ليفي باحد شروط الحديبية الذي يقضي بان يرد الرسول (ﷺ) من يقدم عليه من مستضعفي مكة الى اصحابه من قريش .

فلما ورد الكتاب الى رسول الله (ﷺ) رد ابا بصير وارسله مع سفيري قريش حتى اذا كانوا بذي الحليفة قتل احدهما ثم خرج حتى نزل العيص من ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق قوافل قريش الذي يأخذونه الى الشام . وبلغ المسلمين الذين كانوا قد حبسوا بمكة قول رسول الله (ﷺ) عن ابي بصير (ويل امه محش حرب لو كان معه رجال) فخرجوا الى ابي بصير فاجتمع اليه مايقارب السبعين رجلا فضيقوا على قريش وجعلوا يقتلون من ظفروا به ، ويأخذون مامعه ، ولاتمر بهم عير الا اقتطعوها حتى كتبت قريش الى رسول الله (ﷺ) تطلب منه ان يأويهم لتتخلص من اذاهم فكتب رسول الله (ﷺ) الى ابي بصير بالمجيء الى المدينة فاتاه رسوله بكتابه وابو بصير يجود بنفسه ولم يلبث ان مات وقدم باقي اصحابه الى المدينة (٧٠١).

---

(٦٩٩) الوثائق السياسية ٢٢ .

(٧٠٠) السيرة ق٢/٣١٧ تاريخ الطبري ٣/٧٩ ، اعجاز القرآن ١٣٥ .

(٧٠١) الوثائق السياسية ٣٥ - ٣٦ وانظر الخبر في انساب الاشراف ١/٢١١ .

ومع ان نصوص هذه الكتب لم تصل الينا الا ان هذه الروايات تدلنا عليها وتشير الى مدى الاستفادة من الكتابة حين استعملت وسيلة للمفاوضات بين قريش والمسلمين . وكان من الطبيعي ان يتيح صلح الحديبية فرصة سانحة للرسول (ﷺ) لينشر دعوته في ارجاء بعيدة عن اجواء قريش ومكة ، وذلك انه اخذ يرسل الوفود الى الملوك والقبائل وبعث معهم بكتب يدعوهم فيها الى الاسلام فبعث دحية بن خليفة الكلبي الى قصر ملك الروم(٧٠٢) وبعث عبدالله بن حذافة السهمي الى كسرى ملك الفرس(٧٠٣) .

وكانت كتبه ووفوده قد توالتا على النجاشي من قبل حين ارسل اليه كتابا يدعوه فيه الى الاسلام . وكذلك حين ارسل مع ابن عمه جعفر كتابا يوصيه بالاعتناء بحال اللاجئين الغرباء المسلمين في بلاده(٧٠٤) .

وقد بلغت كتبه الى الملوك من الكثرة درجة جعلته (ﷺ) يتخذ كتابا خاصين يكتبون رسائله الى الملوك ، وقد سجل الجهشياري قائمة باسماء كتاب الرسول (ﷺ) وواجباتهم فعلي وعثمان لكتابة الوحي فاذا غابا كتبه ابي بن كعب وزيد بن ثابت ، وخالد بن سعيد بن العاص ومعاوية لكتابة حوائجه والمغيرة بن شعبة والحصين بن نمير للكتابة مابين الناس وينوبان عن خالد ومعاوية اذا غابا ، وعبدالله بن الارقم والعلاء بن عقبة يكتبان في القوم في قبائلهم ومياههم ، وفي دور الانصار بين الرجال والنساء ، وزيد بن ثابت للكتابة الى الملوك الى جانب كتابة الوحي وحنظلة بن الربيع خليفة كل كاتب من كتاب النبي اذا غاب عن عمله ، وكان يضع عنده خاتمه ، وعبدالله بن ابي سرح ومعيقب بن ابي فاطمة وكان يكتب في المغانم(٧٠٥) .

اما في الداخل فقد استفاد الرسول (ﷺ) من الكتابة في خدمة دعوته ، وذلك انه اخذ يسعى لتوطيد دولته الصغيرة ليرسيها على قواعد ثابتة وقوية فيأمن اول مايأمن شر اليهود الذين يعيشون بين ظهراني المسلمين ويحملون لهم الحقد والكراهية فاستخدم الرسول (ﷺ) الكتابة في هذا المجال ليوقفهم عند حدهم في حين شكى اليهود الى الرسول (ﷺ) قتل كعب بن الاشرف الذي نال المسلمين والرسول بهجائه اللاذع دعاهم الرسول (ﷺ) الى ان يكتب بينه

---

(٧٠٢) الاموال /٢٥ ، تاريخ الطبري ٨٧/٣ ، صحيح مسلم ١٦٠/٥ - ١٦٦ سنن ابي داود ٦٢٨/٢ .

(٧٠٣) الوثائق السياسية ٤٢ فما بعدها .

(٧٠٤) نفسه .

(٧٠٥) الوزراء والكتاب ١٣ ، ١٣ .

وبينهم كتابا . كما كان الرسول (ﷺ) يكتب اليهم كتبا يدعوهم فيها الى الاسلام . وحين قتل رجل من المسلمين في احد احياء اليهود كتب اليهم الرسول (ﷺ) طالبا ديته او يؤذنهم بالحرب ، فكتبوا اليه يحلفون بالله ماقتلوه ، ولايعلمون له قاتلا ، فاداه الرسول من عنده وهكذا استخدمت الكتابة وسيلة للمفاوضة بين المسلمين واليهود كما استخدمت وسيلة للمفاوضات بين المشركين والمسلمين .

وهناك كتب الامان والصلح التي كتبها الرسول (ﷺ) لبعض اليهود او النصارى(٧٠٦) ، من ذلك كتابه لاهل نجران حين قدموا عليه وسألوه الصلح فكتب اليهم كتابا بان لهم جوار الله وذمة محمد ابدا ، مانصحوا وصلحوا ، ثم ذكر في الكتاب حدود هذا الصلح وشروطه(٧٠٧) وكذلك كتب النبي لبني عادياء من يهود تيماء كتابا بان لهم الذمة وعليهم الجزية (٧٠٨).

وكانت وفود القبائل العربية تترى على رسول الله (ﷺ) تعلن اسلامها فكان يبعث مع هؤلاء الوفود برسائل يشرح في بعضها اركان دينه ، ويسجل في بعضها الاخر انه كلف احد اعضاء الوفد بمهمة اخذ الزكاة من قبيلته او مهمة تعليمهم امور دينهم . اما القبائل التي لم ترسل وفودها فانه بعد ان استتب له الامر ارسل كتبه اليها ودعاها الى الاسلام والهداية ودفع الزكاة (٧٠٩) .

وقد يرسل الرسول (ﷺ) احد رجاله عاملا على منطقة من المناطق فيكتب له عهدا يبين له فيه واجبه .

وفي اخبار احداث الردة التي بدأت منذ زمن الرسول (ﷺ) نجد للكتابة دورا هاما شغلت فيه دور الوسيط بين الرسول (ﷺ) وعماله وقادته من جهة وقادة المرتدين من جهة اخرى (٧١٠).

---

(٧٠٦) الوثائق السياسية ٣٩ .

(٧٠٧) فتوح البلدان ق٦/١ الوثائق ١١٥/١١٠ ، ١١٦ .

(٧٠٨) الوثائق ٤١ .

(٧٠٩) السيرة ق٥٩٨/٢ ، فتوح ٨٢/١ ، الوثائق ١٨١ .

(٧١٠) السيرة ٩٢/٢ الوثائق ٢٥٥ فما بعدها .

ثم كانت مكاتبة مسيلمة الكذاب مع الرسول (ﷺ) حين طلب منه ان يقاسمه الحكم لانه كما ادعى قد اشرك معه في النبوة(٧١١).

وهكذا ادت الكتابة دورها الهام في توطيد الدولة الاسلامية منذ نشأتها حتى استقرار الامر ، فكانت وسيلة من وسائل نشر الدعوة وارساء قواعد الدين الجديد ويزاد الى هذا مجال اخر استفيد فيه من الكتابة حين سجل الرسول بها الاقطاعات والعطاءات التي منحها بعض الاشخاص والقبائل .

وبعد وفاة الرسول (ﷺ) وجدت للكتابة مجالات جديدة واحداث استوجبت المراسلة فنشطت في هذا العهد ، واتسعت لابواب واغراض كثيرة كما هو الحال في الخطابة . وكان من اول الاحداث التي نشطت الكتابة واوجبت استعمالها حروب الردة ، وذلك انه لما توفي الرسول (ﷺ) ارتدت قبائل كثيرة من العرب ووجد ايمانها الضعيف متنفسا في فقدان الرسول (ﷺ) وموته وقدمت الكتب الى المدينة تنبوء بعصيان القبائل وخروجها على الدين . فعقد ابو بكر احد عشر لواءاً وأمر امير كل جند باستنفار من مر به من المسلمين من اهل القوة . وقد عهد لكل من هؤلاء الامراء عهدا ضمنه وصايا وتعاليم حربية يلتزم بها الامير حين يحارب المرتدين ، وتكون هذه التعاليم فاصلا بين قتال المرتدين او مسالمتهم(٧١٢) ، كما كتب كتبا اخرى الى قبائل معينة ، من ذلك كتابه الذي بعثه مع خالد بن الوليد الى بني اسد ومن تبعهم من المرتدين ، وكتبا اخرى الى المرتدين جميعا يأمرهم فيها بتقوى الله وان يهتدوا بهداه . ويعتصموا بدينه ، وان لايغرهم الشيطان بعد ان هداهم الله وقد ختم كتابه بتهديده لهم بالقتال والتحريق وسبي النساء(٧١٣) .

وكان الخليفة يتتبع اخبار الحروب ومن اسلم من المرتدين او بقي على عصيانه وردته ، فكان يكتب الى امراء الجيش بتعاليم واوامر عسكرية ويضمنها تعاليم حربية ونصائح عامة (٧١٤).

---

(٧١١) الوثائق ٢٦٣ ، تاريخ الطبري حوادث ١١ هـ .

(٧١٢) الوثائق ٢٦٣ ، تاريخ الطبري حوادث ١١ هـ .

(٧١٣) نفسه ٢٦٢ ، صبح الاعشى ٣٨٤/٢ - ٣٨٥ .

(٧١٤) نفسه ٢٦٨ .

وحين يصالح القائد القبيلة التي كانت مرتدة فانه كان يكتب لهم امانا وعهدا يسجل فيه الصلح . اما اذا ساء سلوك احد القادة فان جنود جيشه من المسلمين يكتبون الى الخليفة بذلك ويكتب الخليفة بدوره الى قائده يؤنبه ويحاسبه على فعلته .

ثم كانت مكاتبات ابي بكر في حروب من ارتد من بني كندة مع الاشعث بن قيس ومن ارتد معه . وكتب الى امير جيشه زياد بن ابيه وكان الاخير يكتب اليه انباء المعارك ، ويطلب منه المزيد من الامداد .

وانتهت حروب الردة ، وطويت معها صفحة دامية كبدت المسلمين الكثير من الخسائر في الاموال والارواح . وبدأت بعدها صفحة جديدة خط فيها المسلمون اتجاهات جديدة ، لاتساع دولتهم وبناء صرحها الشامخ تلك هي حركة الفتوحات الاسلامية . فحين فرغ خالد بن الوليد من امر اليمامة كتب اليه ابو بكر (ان سر الى العراق حتى تدخلها وابدأ بفرج الهند - وهي الابلة - وتآلف اهل فارس ، ومن كان في ملكهم من الامم) . وكتب كتابا آخر الى عامة المسلمين الذين انضووا في الجيش لحرب المرتدين يحثهم فيه على الجهاد والتوجه لحرب الفرس ونشر كلمة الله ، واعلاء دينه ، ويذكرهم بالثواب الذي اعده الله للمجاهدين المؤمنين ثم كتب كتابا اخر الى المثنى بن حارثة يخبره بامر الجيوش الاسلامية المتوجهة الى العراق ويأمره ان يستقبل خالدا ومن معه وان يكون خالد هو الامير فان شخص فالمثنى على ماكان عليه من الامارة .

وكان لابد من ان تستنفر القوى كافة لتنضوي تحت لواء الجهاد والفتح وقد استفيد من الكتابة لتكون وسيلة لتجميع القبائل ، واصدار الاوامر . فقد كتب ابو بكر الى عياض بن غنم وهو بين النباح والحجاز يأمره بالمسير الى العراق واللحاق بخالد كما يوصيه بان لايكره احدا على القتال ، ولايستفتي هو وخالد ، بمتكاره للحرب والجهاد (٧١٥).

وكان ابو بكر يضمن كتبه الى قادته وصايا وتعاليم حربية فيوصي بعدم استعمال ضعيفي الايمان . وعدم اجبار الناس واخذهم بالقوة للانضمام تحت راية الفتوح ، كما كان يوصيهم بعدم استعمال من ارتد من القبائل (٧١٦).

---

(٧١٥) تاريخ الطبري ٤/٢ ، فتوح ق٢ / ٢٩٥ .

(٧١٦) فتوح الشام ٢٤/١ .

ولما كانت انباء الفتوح تتوالى على الخليفة فانه يبعث بتعاليمه واوامره العسكرية الى قادة جيوشه ، والى المسلمين كافة وحين اراد ابو بكر ان يولي خالد بن الوليد امارة جيش المسلمين في فتوح الشام اصدر اوامره بالكتب بعثها الى كل من خالد وهو في العراق يأمره بالسير الى الشام والى ابي عبيدة في الشام (٧١٧).

يضاف الى الاوامر العسكرية التي كان الخليفة يصدرها بواسطة الكتب ، فانه قد استفاد من الكتابة ايضا بارسال نصائح وتعاليم حربية خاصة حين يكتب اليه احد القادة شارحا وضع المسلمين ، وماتاهم من اخبار اعدائهم الروم او الفرس ، فيدرس الخليفة مايعرض عليه ثم يكتب الى القائد بخطة عسكرية يأمره باتباعها وقد يجد القائد نفسه امام مشكلة وامر لم يكن يتوقعه فيكتب الى الخليفة يطلب رأيه (٧١٨).

وهكذا نجد ان الكتابة كانت عاملا اساسيا يعتمد عليه القادة في فتوحهم اذ يستعينون بالخليفة في خططهم وتصرفاتهم بواسطة كتبهم المتتالية . وللمرء ان يتعجب غاية الاعجاب من اهتمام العرب بالكتابة ومدى تطورها في العصر الاسلامي حتى استفيد منها في اكثر شؤون الدولة اذا تذكرنا صعوبة المواصلات ، والرسائل التي تبلغ بها الرسائل ومع ذلك فقد اكثروا منها وراسل القادة الخليفة في كل امر من امورهم ، ونجد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي) يطلب من قائده في احدى رسائله ان يكتب اليه كل يوم (٧١٩)، ومثل ذلك ماذكر من وصية الامام على (ع) لاثنين من رجاله ولاهما امارة جيشه ، كتب اليهما وهما في طريقهما الى الحرب عدة وصايا ، وختم رسالته بقوله وليكن كل يوم عندي خبر كما ورسول من قبلكما (٧٢٠) مما يدل على ان اخبار الحروب كانت تتوالى على الخليفة .

وكان من خطة المسلمين ان يراسلوا اهل المدن قبل الدخول معهم في حرب ، وحين يأتي الجواب بافزار الجزية يكتب لهم عهد بالامان (٧٢١).

---

(٧١٧) تاريخ الطبري ٢٠٥/٤ ، الفخري ٥٤ .

(٧١٨) تاريخ الطبري ٦٢/٤ وانظر فتوح الشام ١٨٠ ، تاريخ دمشق ٥٣٠/١ .

(٧١٩) تاريخ الطبري ٩٢/٤ ، فتوح الشام ٣٢/٢ .

(٧٢٠) شرح نهج البلاغة ٢٨٥/١ .

(٧٢١) تاريخ الطبري ٣/٤ ـ ١٧ ، فتوح البلدان ق٢٢٩/٢ .

واذا اشتدت الحروب وصعب امرها على المسلمين والمقاتلين فان القائد يكتب الى الخليفة بالخبر فيجيبه الاخير بدوره بكتاب يشد فيه ازره ، ويعده والمسلمين بنصر الله ، وعدم خذلانه للمؤمنين المتقين . ومن الطبيعي بعد ذلك ان يسرع البريد الى الخليفة يحمل له بشارة النصر والفتح . وقد يكتب بعدها القائد ليستشير الخليفة في كيفية توزيع الغنائم .

واستمرت الفتوحات في العصر الاموي الا انها كانت في اوقات متقطعة متباعدة لذلك كانت رسائل هذا العصر فيما يخص الفتح اقل منها في صدر الاسلام ولعل سبب ذلك ان قادة الحروب في العصر الاموي كانوا يراسلون والي المصر الذي خرجوا منه ، وهذا بدوره يبعث باخبار الفتوح الى الخليفة في دمشق مما يؤدي حتا الى تأخير الرسائل او ربما الى تعمد الوالي تأخيرها وانتظار نهاية الفتوح واخبار الخليفة بالنصر الاخير .

ومع ذلك بلغتنا رسائل استدعتها الفتوحات ، من ذلك مااستمر عليه المسلمون في الفتوح من مكاتبة اهل المدينة المفتوحة قبل دخولها ودعوتهم الى الاسلام او قبول دفع الجزية ثم عهد القائد لهم كمراسلة حبيب بن مسلمة مع اهل تفليس ثم كتابته العهد لهم .

واجتمع الخوارج مرة اخرى في زمن معاوية وولوا عليهم المستورد بن علفة التيمي وبايعوه فبلغ خبرهم المغيرة بن شعبة ، وكان واليا على الكوفة فحذر اهل الكوفة ايواءهم ونصرتهم فخرجوا منها فوجه في اثرهم معقل بن قيس . وسار الخوارج حتى بلغوا المدائن وكتبوا الى عاملها لينضم اليهم ويحارب اهل الشام الا ان معقلا لحق بهم ودارت بينهما حرب شديدة انتهت بمقتل معظم الخوارج وهروب الباقين منهم .

ويذكر مع المكاتبات التي تجري بين قادة الخوارج وقادة الدولة الاسلامية ماكتبوه من مراسلات بعضهم بعضا (٧٢٢) او انهم كانوا يكتبون الى بعض الصحابة يسألونهم عن امر من الامور فبعد ان استقر ابن الزبير بمكة خرج الخوارج منها ، واتجهوا الى الاحواز حيث امروا عليهم نافع بن الازرق ثم وقع خلاف بينهم فنفرت جماعة منهم بزعامة نجدة بن عامر ومضوا الى اليمامة ومن هنا كتب نجدة الى نافع يؤنبه على خروجه على الجماعة ويزجره عما يقوم به من اعمال فيجيبه نافع بكتاب اخر ينقد فيه ماجاء في رسالة نجدة . وكتب رسالة اخرى الى ابن عباس يسأله عن سهم ذوي القربى فيجيبه ابن عباس عن ذلك بكتاب ايضا (٧٢٣) .

---

(٧٢٢) مروج الذهب ١٣٨/٢ .

(٧٢٣) الكامل للمبرد ٢٨٩/٣ - ٢٩٠ .

ولما اشتدت شوكة الخوارج بالاحواز خشي اهل البصرة ان يجتاحوا مدينتهم فهبوا لنصرتها ، واتفق رأيهم على انه ليس لهذا الامر الا المهلب بن ابي صفرة فكتبوا له كتابا . وهو في طريقه الى خراسان على لسان ابن الزبير فنهض لقتال الخوارج معتقدا انه من ابن الزبير فدخل الاحواز وتوالت انتصاراته عليهم وكان يكتب بذلك الى امير البصرة يخبره بالنصر . ولم يزل المهلب محاربا للخوارج حتى ولي امر البصرة مصعب بن الزبير فولى امر قتال الخوارج لعمر بن عبيدالله بن معمر فزحف اليهم وقاتلهم قتالا شديدا حتى تمت هزيمتهم وخذلانهم فكتب الى مصعب يخبره بذلك (٧٢٤). وكانت للكتابة اهميتها في حركة الزبيريين (٧٢٥).

وقد كان بعض المسلمين يتطوع بالكتابة الى خليفة المسلمين ينصحه ويذكره بنعم الله لمن اتقى واصلح وكأنهم بذلك يؤدون واجبا ملقى عليهم ، وهو واجب نصح المسلم حتى وان كان خليفة للمسلمين (٧٢٦). وقد يكتب الخليفة الى امرائه وقادته بنصائح وتعاليم تعينهم في ادارتهم وولايتهم (٧٢٧).

اما مكاتبات الولاة مع الخليفة في شؤون اماراتهم فقد كانت كثيرة ومتنوعة من ذلك ان عمرو بن العاص حين فتح الاسكندرية هم ان يسكنها فكتب الى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه في ذلك ، فسأل عمر الرسول ماذا كان الماء يحول بينه وبين المسلمين ، اذ سكنوا الاسكندرية فقال : نعم يا امير المؤمنين اذا جرى النيل ، فكتب الى عمرو اني لاحب ان تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولاصيف .

---

(٧٢٤) الخراج / ٢٠

(٧٢٥) انظر انساب الاشراف ق٤/٢ ، ج٥/٢٢٩ الاخبار الطوال ٢٨٧

(٧٢٦) انظر مثلا ماكتبه ابو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل الى الخليفة عمر بن الخطاب عند توليه الخلافة في البيان والتبيين ٣/٣٣٥ .

(٧٢٧) انظر رسالة الخليفة عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري في البيان والتبيين ٤٩٢ ، الخراج ١١٢ .

لقد كان اهتمام المسؤولين بامور المسلمين كبيرا وكان الوالي او الخليفة يعد نفسه مسؤولا تجاه ربه عن امر المسلمين وراحتهم ، فحذيفة بن اليمان مثلا يكتب الى الخليفة وكان مع سعد بن ابي وقاص في العراق كتاب يخبره فيه عن امر المسلمين والعرب وانهم قد تغيرت الوانهم فكتب عمر الى سعد يستفسر عن ذلك ، فكتب اليه سعد ان العرب لايوافقها الا ماوافق ابلها من البلدان فابعث سلمان وحذيفة ليرتادا للمسلمين منزلا بريا بحريا ، واشترط ان لايفصل بين المسلمين والخليفة ماء . فارتاد الرائدان الكوفة للمسلمين وكتب سعد بذلك الى الخليفة .

نصوص وتحليل

ان تتبع نصوص الرسائل لمعرفة تطور الكتابة يفرض الاستفادة من اكثر من نص واحد لمتابعة هذا التطور ومعرفة سماته التي نستطيع ايجازها فيما يأتي :

١ ـ الايجاز المعبر عن الفكرة والموقف بالفاظ مباشرة قصد منها الافهام والتبليغ ولذلك وردت الالفاظ الاسلامية المصورة لمبادئ الدين والدعوة في نصوص رسائل الرسول (ﷺ) المبكرة ، من ذلك ماكتبه عليه الصلاة والسلام الى مصعب بن عمير قبل الهجرة يأمره في الرسالة باقامة الجمعة في المدينة فيقول له :

(فاذا مال النهار عن شطره من يوم الجمعة فتقربوا الى الله بركعتين(٧٢٨)) .

فالكتاب حدد مباشرة ماهو مطلوب ، وقت اقامة الصلاة يوم الجمعة ، ويشير الى هيأة المصلي لان الركوع في اللغة هو الانحناء الا انه يعد ظهور الاسلام دلّ على حركة معينة معلومة يؤديها المسلم وهي انحناؤه خضوعا لله في صلاته .

وتتكرر مثل هذه الالفاظ في رسائل الرسول (ﷺ) الاخرى وكتبه بعد الهجرة خاصة في في كتابه الذي نظم فيه الحياة في يثرب (المدينة) واقر فيه الصلات التي تربط المسلمين بأهل الكتاب من سكانها فورد فيه لفظ المشرك ، والمسلم ، والمتقين والكافرين ويوم القيامة واليوم الاخر :

٢ ـ ابتداء الرسائل والكتب بعبارة البسملة وهذه سمة فنية وفكرية ميزت رسائل هذا العصر عن عصر ماقبل الاسلام ونستطيع ان نتابع تطور هذه الفكرة من عهد الرسول (ﷺ) الذي ذكرناه قبل قليل والذي ورد فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم ، وجاهد معهم انهم امة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على رباعتهم يتعاقلون بينهم(٧٢٩)) .

ويلاحظ في هذا الكتاب ابتداؤه بعبارة البسملة وهي افتتاحية لم تكن موجودة في مكاتبات عصر ماقبل الاسلام ويروى القلقشندي قصة يذكر انها كانت السبب في تعود قريش على افتتاح رسائلها بهذه العبارة . ثم ينقل قولا عن ابراهيم بن محمد الشيباني

---

(٧٢٨) الوثائق السياسية ١١

(٧٢٩) مجموعة الوثائق السياسية ٢٠

قوله ولم تزل الكتب تفتتح باسمك اللهم حتى نزل قوله تعالى . انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فاستفتح بها رسول الله (ﷺ) وصارت سنة بعده ، ويروى عن محمد بن سعد رواية تبين كيفية تطور هذه العبارة بتدرج نزول الآيات القرانية وذلك أن رسول الله كان يكتب كما تكتب قريش (باسمك اللهم) حتى نزل عليه (وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها) فكتب بسم الله حتى نزل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن) فكتب بسم الله الرحمن حتى نزل (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) فكتب بسم الله الرحمن الرحيم(٧٣٠).

وقد كان لالتزام الرسول (ﷺ) بهذه العبارة الاسلامية اثره الكبير في التزام المسلمين بها من بعده حتى رووا عن سفيان الثوري انه كان يكره للرجل ان يكتب شيئا حتى يكتب بسم الله الرحمن الرحيم . وعن سعيد بن جبير انه كان يقول لايصلح كتاب الا ان يكون اوله بسم الله الرحمن الرحيم(٧٣١) الا انهم قد اصطلحوا على حذف هذه العبارة من اوائل التوقيعات والمراسيم الصغار ، وكأنهم قد تأولوا مانسب الى رسول الله (ﷺ) من قول هو (كل امر ذي بال لايبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو اقطع) ، يعني ناقص البركة ومايكتب من التواقيع والمراسيم الصغار ليس من الامور المهمة فتناسب ترك البسملة في اولها وان وجد من يؤكد ضرورة افتتاحها بهذه العبارة ايضا(٧٣٢).

وعبارة البسملة هذه افتتح بها الرسول (ﷺ) اول كتاب له في المدينة المنورة وردت في كتبه ورسائله الاخرى الاكتاب صلح الحديبية الذي خلا من هذه العبارة وسنأتي على بيان سبب ذلك .

٢ ـ ذكر حمدالله والثناء عليه بعد البسملة . وهذه ايضا سمة فنية فكرية ارتبطت بفكرة التوحيد ايضا ووجوب ذكر الله وحمده وشكره وقد ورد التحميد في كتابه (ﷺ) الى النجاشي ملك الحبشة سنة ست للهجرة : (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة اسلم فانت فاني ، احمد اليك الله الذي لااله الاهو الملك القدوس السلام المؤمن المهين ، واشهد ان عيسى بن مريم روح الله ، وكلمته القاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة(٧٣٣)

---

(٧٣٠) السيرة ق٢/٣١٧ ، الطبري ٣/٧٩ ، اعجاز القرآن ١٣٥ ، الوثائق ٢٠ .

(٧٣١) (٧٣٢) صبح الاعشى ٦/٢٢٠

(٧٣٣) نفسه ٤٦

كما ورد التحميد في رسائله (ﷺ) عليه وسلم) الى المنذر بن ساوى والى اسقف ايلة . والى صاحب البحرين ، والى اهل هجر والى الحارث بن كلال ، وفي عهوده الى خزاعة والى بني اسد والى بني زاكان وعهده لاقارب سلمان ، وفي رسالته الى معاذ بن جبل(٧٣٤) .

ويبدو التحميد في هذه الرسائل متشابها من حيث العبارات التقليدية نفسها وهو تحميد قصير لايتجاوز العبارتين او الثلاث الا عهده الى اقارب سلمان الذي جاء فيه :

سلام الله اليك ان الله امرني ان اقول لااله الاالله وحده لاشريك له ، اقولها وامر الناس بها ، الخلق خلق الله والامر كله لله ، خلقهم واحياهم واماتهم ثم ينشرهم واليه المصير . وكل امر يزول ويفنى وكل نفس ذائقة الموت ولامرد لامر الله ولانقصان لسلطانه ، ولانهاية لعظمته ولاشريك له في ملكه سبحانه مالك السموات والارض الذي يقلب الامور كما يريد ويزيد الخلق على مايشاء سبحان الذي لاتحيط به صفة القائلين ، ولايبلغ وهم المتفكرين الذي افتتح بالحمد كتابه ، وجعل له ذكرا ورضي من عباده شكرا احمده حمدا لايحصى عدده .

اما كتبه الاخرى فهي على كثرتها لم يرد التحميد فيها كما لم ترد البسملة في كثير منها . وقد روى المحدثون حديثا عن الرسول (ﷺ) ليؤكدوا كون التحميد في اوائل الكتب سنة واجبة من جهة وليسوغوا خلو بعض الرسائل منها وخاصة رسائل الرسول (ﷺ) وبعض المكاتبات والحديث هو (كل امر ذي بال لايبدأ فيه بحمد الله فهو اجذم)(٧٣٥) ويعلل القلقشندي هذا بقوله : (اما سائر المكاتبات والولايات المفتتحة بغير الحمد ، فانما حذف منها الحمد استصغاراً لشأنها اذ كان الابتداء بالحمد انما يكون في امر له بال كما دل عليه الحديث المتقدم(٧٣٦)) ثم يذكر سبب ابتداء الناس بالتحميد بقوله (وانما افتتح الكلام بالحمد لان النفوس تتشوق بالثناء على الله تعالى ، والافتتاح مما تتشوق النفوس اليه مطلوب)(٧٣٧) ويبدو ان سبب ابتداء الكتاب بالحمدله ليس ماذكره القلقشندي وانما لانهم يتبعون في ذلك ماتبعه الرسول (ﷺ)(٧٣٨) .

---

(٧٣٤) نفسه ومابعدها

(٧٣٥) صبح الاعشى ٦/٢٢٥ .

(٧٣٦) نفسه

(٧٣٧) نفسه

(٧٣٨) انظر اثر القرآن في الادب ٣٠٣ .

اما في كتاب صلح الحديبية ، فاننا لانجد اي اثر للسمتين الفنيتين السابقتين اذ لم يفتتح الكتاب بالبسملة ولامهد له بحمد الله ، لان رجال قريش كانو حريصين على عدم ذكر اي لفظ اسلامي لانه لو ذكر لكان دليلا على اعتراف قريش بما يدعو اليه الرسول (ﷺ) . ومما يذكر هنا ان الرسول (ﷺ) لما امر كاتبه علي بن ابي طالب ان يبدأ الكتاب بقوله بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل بن عمرو وهو الذي بعثته قريش لطلب الصلح - لااعرف هذا ، ولكن باسمك اللهم كما كنت تكتب ، فقال المسلمون والله لانكتب الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي (ﷺ) اكتب باسمك اللهم فكتبها ثم قال ، هذا ماصالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل : والله لو كنا نعلم انك رسول ماصددناك عن البيت ولاقاتلناك ، ولكن اكتب من محمد بن عبدالله . فقال (ﷺ) وسلم اني لرسول الله ، وان كذبتموني ، ثم قال لعلي كرم الله وجهه امح رسول الله . فقال والله لااحوك ابدا فقال ارنيه فاراه اياه ، فمحاه الرسول (ﷺ) بيده وقال :

اكتب هذا ماصالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين (٧٣٩)

وكان صلح الحديبية خاليا من الاثر القرآني والاسلامي لان هم الرسول (ﷺ) ونظره البعيد كان يرنو الى مدة طويلة تمكنه من كسب القبائل العربية كما تسمح باقامة دولته دون ان تهددها قريش بالحرب والقتال .

٤ - كثرة الاقتباس من القرآن الكريم وايراد الايات المباركة المعبرة عن الموقف المعززة للفكرة التي تتزم عليها الرسالة وقد ورد هذا منذ وقت مبكر في الرسائل التي تبادلها الرسول (ﷺ) مع اليهود او النصارى . من ذلك كتابه الى يهود خيبر يدعوهم فيه الى الايمان به ، اذ كان خبر مجيئه نبيا قد ذكر في التوراة وفي هذه الرسالة نجد اكثر من آية قرآنية لانه (ﷺ) يريد ان يكسب ود اليهود حين يذكر نبيهم من جهة ويؤثر في نفوسهم فيؤمنوا به من جهة اخرى :

من محمد رسول الله صاحب موسى واخيه المصدق لما جاء به . الا ان الله قال لكم يامعشر اهل التوراة ، وانكم لتجدون ذلك في كتابكم ، محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا . سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فازره فاستغلظ فاستوى

---

(٧٣٩) السيرة ق٢/٣١٧ ، الطبري ٣/٧٩ اعجاز القرآن ١٣٥ .

على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما .

واني انشدكم بالله ، وانشدكم بما انزل عليكم بالذي اطعم من كان قبلكم من اسباطكم المن والسلوى ، وانشدكم بالذي ايبس البحر لابائكم حتى انجاكم من فرعون وعمله الا اخبرتموني ، هل تجدون فيما انزل الله عليكم ان تؤمنوا بمحمد ؟ فان كنتم لاتجدون ذلك في كتابكم فلاكره عليكم قد تبين الرشد من الغي واني ادعوكم الى الله ونبيه) (٧٤٠).

فقوله محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار ... وهو من الايات ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ من سورة الفتح ٤٨ وقوله (ﷺ) قد تبين الرشد . هو من الاية ٢٠٦ من سورة البقرة (لااكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) .

وهكذا ذكر الرسول (ﷺ) هذه الايات والمعاني القرآنية ، التي تنص على اعتراف القرآن الكريم بالنبي موسى عليه السلام ، ومايدور حوله من قصص ليدفع اليهود الى الاعتراف بالاسلام الذي يخبرهم عن انباء نبيهم .

٥ ـ تصوير الرسائل المستوى الفكري المتفتح الذي بلغه الفكر العربي الاسلامي من خلال ماتعرضه من محاجة ومحاولة للاقناع اعتمد البرهان والحجة في عرض الفكرة باسلوب واضح بليغ ، ويصدق هذا على معظم النصوص الكتابية في هذا العصر ، فالرسول (ﷺ) يحاجج اهل الكتاب من يهود او نصارى في مكاتباته ورسائله مستعينا بالايات القرآنية التي تلزم اهل الكتاب بالاقتناع بالدعوة الاسلامية لانها تبين ان الاسلام متم لرسائل الانبياء السابقين ومعترف بدعوة ابراهيم ، وموسى وعيسى عليهم السلام الا ان رسائل الرسول (ﷺ) الى المشركين قد خلت من الاقناع لان موقف المشركين لم تكن قائمة على اقتناع بفكرة معينة او دين سابق قدر اعتمادهم المصالح الشخصية ، والعناد في رفض الدعوة ، ولذلك تجد خطاب الرسول (ﷺ) لهم مباشراً خاليا من البسملة والتحميد لانهم لايؤمنون بها ، مكتفيا بعبارة (سلام على من اتبع الهدى) .

ويزداد تصوير الكتابة للنقاش الفكري حين ترسخ الدولة العربية الاسلامية ويبدأ الحوار بين الجماعات الاسلامية الذي اتخذ احيانا شكل الحوار الكتابي واحيانا اخرى تجاوزه الى الاحداث السياسية المعلومة ... ونظرة سريعة الى المراسلات التي كانت بين الامام الحسين بن

---

(٧٤٠) الوثائق : ١٨

علي ويزيد بن معاوية تدلنا عن استيعاب الرسائل لهذه الاحداث وتصويرها لآراء اصحاب المواقف السياسية وبيان حججهم من خلالها .

لقد كانت الرسائل مسهمة في الاحداث متابعة لها ، استخدمها القادة والخلفاء والولاة والأشخاص ، ومن يرجع الى كتب التاريخ والادب يجد ثروة هائلة من الرسائل المحبرة في كل حدث من الاحداث المهمة . نجد في بعضها عرضا لافكار اصحابها كما نجد في بعضها الاخر دعوة الى المناقشة والمحاججة ونجد هذا واضحا في الرسائل السياسية المتبادلة بين الخلافة والخارجين عليها كما نجدها بين رجال الفرقة الواحدة احيانا فهذا نجدة بن عامر يناقش نافع بن الازرق فيمن يحق عليه الجهاد ، ثم فيمن يستحل دمه من الناس كاطفال المسلمين الذين عدهم الخوارج كافرين قال مخاطبا نافعا :

تجرد لـــك الشيطـــان ولم يكن احـــد اثقـل عليـــه وطـــأة منـــك ومن اصحابه ، فاستمالك واستهواك واستغواك ، واغواك فغويت فكفرت الذين عذرهم الله في كتابه من قعدة المسلمين وضعفتهم فقال جل شأنه وقوله الحق ، ووعده الصدق ليس على الضعفاء ولاعلى المرضى ولاعلى الذين لايجدون ماينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ثم سماهم احسن الاسماء فقال (ماعلى المحسنين من سبيل) ثم استحللت قتل الاطفال وقد نهى رسول الله (ﷺ) عن قتلهم وقال الله عز ذكره ولاتزر وزرة اخرى (٧٤١).

فيجيبه نافع بكتاب يرد به على اراء نجدة بآية كريمة قبل بدء نقاشه معه فيقول وانا اسأل الله جل وعز ان يجعلني من الذين (يسمعون القول فيتبعون احسنه) وعبت عليّ مادنت به من انكار القعدة ، وقتل الاطفال واستحلال الامانة فسأفسر لك ذلك ان شاء الله (٧٤٢).

فقوله الذين يستمعون .. هو من الاية ١٨ من سورة الزمر . ثم يبدأ نقاشه حول القاعدين عن الجهاد لضعفهم او كبرهم فيقول :

وهؤلاء قد تفقهوا في الدين وقرأوا القرآن ، والطريق لهم نهج واضح . وقد عرفت ماقال الله عز وجل فيمن كان مثلهم اذ (قالوا كنا مستضعفين في الارض) فقيل لهم (الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا منها) وقال (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) وقال (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم) فانظر الى اسمائهم وسماتهم .

---

(٧٤١) شرح ابن ابي الحديد ٣٩٦:١

(٧٤٢) نفسه ٣٨٣/٢ العقد ٣٩٦/١

واما امر الاطفال فان نبي الله نوحا عليه السلام كان اعلم بالله يانجدة مني ومنك فقال :
(رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا ، انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولايلدوا الا فاجرا كفارا) فسماهم بالكفار وهم اطفال وقبل ان يولدوا فكيف كان ذلك في قوم نوح ، ولانقول كقوله في قومنا ، والله يقول (اكفارهم خيرا من اولئكم ، ام لكم براءة في الزبر) وهؤلاء كمشركي العرب لاتقبل منهم جزية .

ان هذا التطور الكبير الذي شهدته الحياة العربية الاسلامية قد واكبته الكتابة والرسائل فنشطت نشاطا كبيرا لايمكن ان يقارن بما كان في عصر ماقبل الاسلام واذا كانت الرسائل تمثل جانبا مهما من جوانب الحياة السياسية والادارية وان لغتها قد تكون اقرب الى اللغة الرسمية منها الى اللغة الادبية فان تذكر حال اللغة العربية في هذا العصر يجعلنا نقول ان كتب صدر الاسلام والمراسلات في العصر الاموي لابد ان تدرج ضمن الكتابات الادبية لانها صدرت عن شخصيات عرفت في عالم الادب والبلاغة ، وان اصحابها يدرجون بشكل او بآخر ضمن عصر الفصاحة والسلامة اللغوية ولابد ايضا ان تكون كتاباتهم صورة للمستوى الثقافي والفكري الذي وصلت اليه الحياة الادبية بالذات . ولذلك تنوعت اساليب الرسائل فهي بين ايجاز معبر واسهاب يسهم في عرض فكرة او مناقشتها ولغتها الى السهل الممتنع منه الى الصنعة التي اولع بها الكتاب الرسميون في العصر العباسي فيما بعد وماوجد فيها من توشيح للايات الكريمة او الامثال او الاشعار فانما يرد عفو الخاطر شأنهم في ذلك شأن خطبهم ووصاياهم .